مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ: ٢٠٠٣/١٠/٤

أنا والبطل فى المعمورة!!

□ المكان والزمان لم يتغير أى منهما منذ عام ١٩٨١، منطقة المعمورة بالاسكندرية، وسبتمبر أو اكتوبر.. وأنور السادات!! وأنا الآن هنا فى الاسكندرية، ولا يمر (اكتوبر) إلا وأنا فيها.. ففى ٦ اكتوبر ١٩٧٠، بجوار تمثال سعد زغلول بمحطة الرمل.. سمعت السادات وهو يتولى الحكم، ولم يسعدنى ذلك الرئيس وقتها، لأن قناعتى بأن أحدا لن يملأ مكان عبدالناصر، لكن فى الثانية والنصف من ظهر يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣، لمع ومض الإرادة المصرية، وهدر صوت السادات مع هدير المدافع، لتهتز الأرض ومن عليها، ولتهتز المعتقدات وما تنطوى عليه.. فقد أصبح السادات بطلا مفاجئا، جمع كل أساليب المكر والدهاء والخداع ليستخدمها ضد المحتل الإسرائيلى، ويحطم اسطورة الجيش الذى لايقهر.

□ وفى المعمورة، استقبلنى البطل فى الثانى من سبتمبر ١٩٨١ والدهشة تعقد لسانى، فقد فوجئت بأن الرئيس يطلب أن أتابله فى المعمورة!! ولم تكن لى أية صلة به ولا كنت أتصور أن يحدث ذلك، ووسط عمليات الارهاب الخطيرة التى كان يمارسها الارهابيون باسم الاسلام، خشيت أن أكون على موعد مع الاعتقال لرشاية أو فرية كاذبة، لذلك جمعت إخوتى ليصحبونى وينتظرونى ليعرفوا مصيرى!! وخطوت متجها نحو مدخل المعمورة خطوات مرتعشة. فقابلنى مساعد شرطة (صول) مهمته رفع وانزال (عرق خشب)

كبواية.. سألنى: عاوز إيه يافندى.. أجبته متلعثما: معايا ميعاد مع الريس، سألنى اسمك ايه قلت له اسمى، فنظر فى ورقة وقال: اتفضل، فادهشنى انه وسط أمواج الارهاب لم يتحقق من شخصيتى.. وبعد خطوات قابلنى ضابط برتبة عميد، وسألنى هاشا باشا: دكتور محمد؟ قلت له نعم.. قال اتفضل.. وادخلنى مبنى قديما من دورين فيه مقاعد أسيوطى قديمة.. جلست والرعشة تسيطر على أعصابى...

□□□

وقع اقدام على سلم حلزونى خشبى بجوارى.. أنظر إليها متحفزا للحظة القبض على.. لكنه السادات بقامته الأبية وقوامه الرشيق وال تى شيرت الكحلى.. نهضت مسرعا وهو يقول (اهلا يا اسماعيل) ثم وضع يده على كتفى وهو يقول: «إنت أعد فى الحتة الكتمة دى ليه، تعالى ياشيخ نقعد بره ف الجنينة!!» بدأ الخوف ينقشع وبدأ الشعور بأننى مع صديق قديم يحيط بالجلسة وهو يصب لى بنفسه فناجين الشاى على الطريقة الخليجية، ويخرج من جيبه (البايب) وعلبة الكبريت!! كانت الساعة الحادية عشرة صباحا وكان المقرر للمقابلة عشر دقائق.. لكننا جلسنا ثلاث ساعات حيث انتهى اللقاء الساعة ٢.. وخرجت لأجد اخوتى يبكون!!.. أما الأحاديث فكانت فى كل شىء.. وأهم ما فيها بالنسبة لى.. عاوزك تشتغل معايا فى السياسة، قالها بعد أن ابدى اعجابه بمقالاتى التى كان يتابعها دون أن ادرى.. وقال لى: انت بتقرا اللى فى دماغى من غير ماعرفك ولا تعرفنى.. ولم ينس السادات وانا خارج أن يصحبنى بنفسه ثم يلتقط زجاجة كولونيا من ماركة شعبية معروفة ويقول (امسح وشك وايدك بالكولونيا علشان تنتعش يااسماعيل)، وبدا هو - شخصيا - فى صب الكولونيا على يدى!!

□ زالت كل الحواجز بيننا.. وحدثته فى كل شىء.. وأعطانى رقم تليفون خاص أطلبه فى اى وقت، ومضى شهر تحدثنا فيه عشرات المرات وتعمقت (صداقتنا وصراحتنا) فأحسست بعظمة هذا الزعيم المثير للدهشة!!

لكن الرجل، يوم ٢ سبتمبر ١٩٨١ - والله شهيد على ما اقول - قال لى بالحرف الواحد: (ممكن شوية مجانين يطلعوا على بدفعة رشاشات... لكن لكل أجل كتاب)!! وطلع عليه المجانين - كما تنبأ - بدفعة رشاشات وهو واقف لا ينحنى كالأسد الهصور.. فرفعته رصاصات الغدر الى عنان السماء، شهيدا يوم الاحتفال بالنصر.. وأصبح ٦ أكتوبر هو يوم ميلاد السادات.. ويوم وفاته.. وقد ظلت اتصالاتى بالشهيد حتى الساعة التاسعة تقريبا من صباح ٦ اكتوبر ١٩٨١، حيث طلبته لأقول له معى مقالى القادم وعنوانه «النطح فى الصخور» وعاوز اشوف راى حضرتك فيه، فقال: (أنا حافوت دلوقتى على قبر عبدالناصر وبعدين حاروح العرض العسكرى، ولما ارجع أنا حاتكلم معاك).. ولم يعد.. لأنه صعد الى بارئه محفوفا بالملائكة، قائدا شهيدا قاد مصر والعرب الى ساحات المجد فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣، وقاده مجرمون ارهابيون الى حمامات دم، تروى منطقة المنصة.

□□□

كانت مشكلة السادات مع التقاليد السياسية المستقرة، انه يعيش الغد ولا يعيش اليوم، وكان نفاذ بصيرته يجعله يبنى قراراته على اساس مايراه فى المستقبل، لذلك لم يكن ٦ أكتوبر ١٩٧٣، ثورة تحرير عسكرية مباغتة يقودها البطل فحسب، ولكن كان ما اعقبها من ثورة دبلوماسية سياسية تمثلت فى معاهدة كامب ديفيد، قمة الارتباط بين العسكرية والدبلوماسية، وكان الشهيد يقول: لو استطعت تحرير اى قطعة ارض بالمفاوضات وليس بالقتال، لفعلت، حرصا على الأرواح، لذلك كانت كامب ديفيد معركة دبلوماسية، أكملت المعركة العسكرية، ونجم عنها تطهير كل شبر من أرض سيناء، من كل أثر اسرائيلى، وأعلن مناحم بيجين ايامها، ان السادات (ضحك عليه) فأخذ الأرض وأعطى اسرائيل كلاما على ورق لايمكن أن يمزقه فى أى وقت.

□ وما فعلته القوات المسلحة المصرية فى حرب اكتوبر يفوق الخيال بكل المقاييس، إذ دارت المعارك بنسبة واحد لمصر و٣ لاسرائيل، ومع ذلك فإن المفاجأة والادارة المصرية الحقت باسرائيل خسائر تساوى نصف قواتها المسلحة، حيث

حطمت مصر بطيرانها الباسل نصف طائرات اسرائيل، وتم تدمير نصف دباباتها ومدرعاتها وتحطيم كل تحصيناتها الاسطورية، حتى أصيبت بالرعب واستغاثت جولد مائير بالرئيس الأمريكى نيكسون، الذى أنزل العتاد الأمريكى فورا الى أرض المعركة حتى لاتزول إسرائيل، وكان هذا الامداد المكثف من أمريكا سببا فى عدم تطوير الهجوم الى الممرات والوصول لحدود مصرنا، وقال البطل فى ثقة بالنفس وتقدير سليم للأمور: أنا لا أستطيع الآن محاربة أمريكا، ولكن عبقرية السادات أدركت أن ما لم يبلغه بالحرب سوف يأخذه بالسلام.. وكان له ما أراد،

حيث أصبحت مصر هى الدولة الوحيدة التى تحررت أرضها من آثار ٥ يونيو ١٩٦٧ بالحرب وبالسلام معا.. وظل الأشاوس فى عراق صدام حسين، ومنظمات فلسطين يتحدثون عن (خيانة السادات) وعن خطتهم لابادة اسرائيل، حتى انقلبت الموازين وأصبح الشعب الفلسطينى المسكين ضحية لثرثرة الأشاوس وجنرالات المقاهى!!

□ وتبدو عظمة السادات فى حنكته السياسية وقدرته على التنبؤ، لأنه (معجون) فى السياسة والكفاح منذ طفولته، وذلك حين يقول أيامها إن أمريكا فى يدها ٩٩٪ من أوراق الحل!! وتثبت الأيام صدق مقولة السادات .. لكن خصومه يأخذون عليه ذلك ويقولون إن حل القضية فى يد العرب، فلماذا يعطى السادات أمريكا هذا الدور!! وهو رأى مغالط لأن العرب لم يتفقوا حتى على الجلوس معا.. ولايملك السادات عليهم ولا على أمريكا أى سلطان، ولذلك هو قرأ الواقع والماضى فظهرت صورة المستقبل، وهو ما حدث بالفعل، وحتى فى مجال السياسة الدولية، تنبأ السادات بانهيار الاتحاد السوفيتى وقال إن الاعتماد عليه اعتماد على نمر من ورق قصير العمر!! وتفكك الاتحاد السوفيتى، وبقيت أفكار السادات فى التعدد الحزبى بديلا عن التنظيم الواحد هى السائدة حتى الآن.

□ لذلك فسأنا الآن فى الاسكندرية ككل عام، استروح فى المعمورة ذكريات البطل الشهيد، الذى قدم نفسه قربانا لمصر، ليموت هو وتحيا مصر!!

محمد إسماعيل